

لبنان الساحة والورقة!!!

بقلم الياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

من هو المستفيد من تدهور الوضع العسكري الأخير على الحدود اللبنانية - الإسرائيلية في ضوء العملية التي نفذها حزب الله ضد مواقع عسكرية إسرائيلية يوم الجمعة بتاريخ ٢٩/٦/٢٠٠١ في مزارع شبعا ، ومن ثم ما تبعها من ردود إسرائيلية عسكرية محدودة جداً، أولاً في الجنوب لم تتخطى محيط المزارع وكفار شوبا، ومن ثم في البقاع حيث استهدف وبشكل محدود أيضاً بصاروخي أرض جو مركز سوري للمضادات الجوية والرادار؟ إسرائيل حملت سوريا وزر عملية حزب الله واعتبرتها بالمطلق مسؤولة عن كل ما يقوم به الجناح العسكري لهذا الحزب من أعمال حربية انطلاقاً من الجنوب اللبناني كونه يحصل على سلاحه وعتاده الإيراني عبر حدودها إضافة إلى تحكم القيادة السورية بقرارات الحزب وتحركاته وتحديداً العسكرية منها.

لقد اختلفت التفسيرات الداخلية والخارجية حول الأسباب والدوافع لما شهده الوضع الجنوبي والبقاعي من تصعيد، وأشار المحللون إلى أن إسرائيل وسوريا وحزب الله استفادوا جميعاً من التصعيد الذي لم يتخطى السقوف والخطوط الحمر المنفق عليها، المعمول بها بين سوريا وإسرائيل برعاية أميركية وعربية منذ سنة ١٩٦٧. فقد أمكن للمراقبين رصد أكثر من وجهة نظر بعضها على علاقة باعتبارات داخلية وبعضها الآخر باعتبارات خارجية. فهناك من ربط التصعيد بالنتائج المخيبة لزيارة الرئيس بشار الأسد إلى باريس حيث فشل في الدفاع عن ممارسات نظامه القمعية المتعلقة بالانتهاكات الفظيعة لحقوق الإنسان في كل من لبنان وسوريا مما دفعه لتذكر الجميع عبر حزب الله بقدرة بلاده على عرقلة الحلول المعدة للمنطقة ما لم يمدد لدوره الاحتلالي للبنان على اعتبار أن الحزب ورقة بيده وهو لا يمكنه القيام بأية عملية من دون موافقة سورية مسبقة.

وهناك من يرى بأن عملية حزب الله جاءت رسالة جوابية سريعة من سوريا على ما نقله ممثل الأمين العام للأمم المتحدة كوفي انان في الجنوب، ستيفان دو ميستورا من إسرائيل إلى الحكم اللبناني عن قرار إسرائيلي جدي بوقف الخروقات الجوية الإسرائيلية للأجواء اللبنانية، وهو ما اعتبره الحكم السوري بمثابة محاولة إسرائيلية جديدة هدفها شكل جديد من أشكال فصل المسارين اللبناني والسوري.

وهناك من يؤكد بأن التصعيد جاء بعدما فشل حزب الله في تحقيق مكاسب داخلية في مواجهته الشعبية والاقتصادية والإنمائية والخدماتية مع السيد رفيق الحريري مما دفعه للارتداد جنوباً لتعويض الفشل الداخلي من جهة ولإعادة تلميع صورته شعبياً وتحديداً على الساحة الشعبية

بعدها اهتزت هذه الصورة في المواجهات التي كانت ساحتها شركة طيران الشرق الأوسط والسعي لزيادة التعويضات الممنوحة من قبل مؤسسة اليسار لإنماء الضاحية الجنوبية من جهة أخرى، ولتوجيه رسالة تحذيرية إلى الحريري فجواها قدرة حزب الله على التشويش على مشروعه الاقتصادي ما لم يكن للحزب حصة الأسد في هذا المشروع من جهة ثالثة.

على الصعيد الإسرائيلي فقد أعطى التصعيد رئيس الوزراء شارون وحكومته المتشددة ودون تخطي السقوف الإقليمية والدولية، ودون التورط في حرب موسعة غير مسموح بها حالياً، أعطاهم فرصة ممتازة لإثبات جدية تهديداتهم المتعلقة بتحميل سوريا مسؤولية كل عمليات حزب الله العسكرية وضرب الجيش السوري المتمركز في لبنان رداً على كل عملية تتطلق من مزارع شبعا، كما أظهر إسرائيل في موقع المنقيد بالقرارات الدولية وتحديداً القرار ٤٢٥ في حين وضع لبنان وسوريا ومعهما حزب الله في خانة العصاين على هذه القرارات الخارجين عن شرعة الأمم المتحدة والقرارات الدولية. إضافة إلى أن التصعيد الممسوك هذا يساعد حكومة شارون على إبقاء يهود العالم ومنظماتهم في حالة تحفز وقلق مما يسهل عليه تأمين استمرار تدفق دعمهم المالي وتجنسهم لدعم مواقفهم السياسية المتشددة في مواجهة الانتفاضة الفلسطينية وما قد يقدم عليه من إجراءات عسكرية حاسمة ليس فقط في الضفة الغربية وغزة ولكن أيضاً في جنوب لبنان.

أما حزب الله فأكد أن التفسير الوحيد الذي يفترض أن يعطى هو التفسير الواقعي الحقيقي الذي يعكس موقف الحزب المصر على حقه في الاحتفاظ بزمam المبادرة وباختيار التوقيت الذي يراه مناسباً للعمليات ضد إسرائيل لتحرير مزارع شبعا.

يبقى أن لبنان الحريات والاقتصاد والكيان هو الخاسر الأكبر من كل هذه التطورات التي تتعارض مع مصالحه ومع استقراره وتحول دون استرداد لقراره واستقلاله وسيادته على أراضيه. أن ما يجري قد أعاد وطن الأرز مرة أخرى ليكون الساحة والورقة ساحة لحروب الآخرين وتحديداً العرب الذين تتعم جبهاتهم مع إسرائيل بالسلام التام وورقة بيد حكام سوريا. إن المؤامرة على لبنان الكيان والوجود مستمرة عن طريق شرائح لبنانية فقدت رؤيتها الوطنية وأمسّت مجرد أداة بيد من يتآمر على وطنها وشعبها.